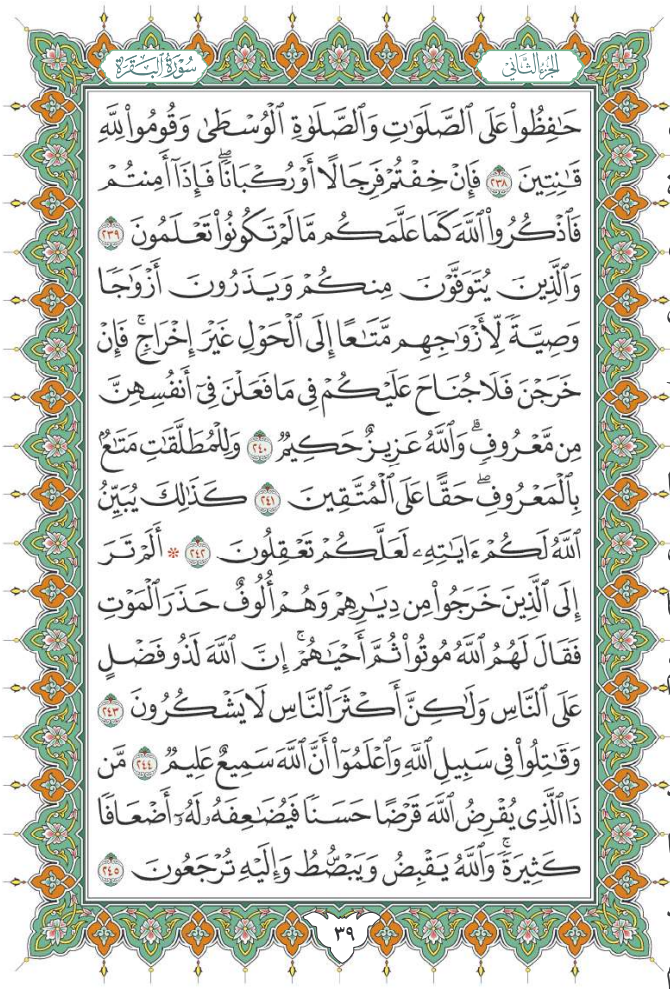

﴿٢٣٨﴾ احرصوا على إقامة الصّلوات كلّها، وداوموا عليها، واحرصوا على أن تكون صلاتكم هي الصّلاة الفضلى بإقامة أركانها والإخلاص الكامل لله فيها، وأتمّوا طاعة الله تعالى وذكره مخلصين له خاشعين لجلاله، والصّلاة الوسطى هي صلاة الفجر أو العصر على خلاف في الاجتهاد.

﴿٢٣٩﴾ فإذا أدركتم الصّلاة وأنتم خائفون فلا تتركوها بل صلّوا كما استطعتم مشاة أو راكبين، فإذا زال الخوف عنكم فصلّوا الصّلاة مستوفية الأركان كما علمتموها ذاكرين الله فيها شاكرين له ما علّمكم إياه، وما مَنَّ به عليكم من نعمة الأمن.

﴿٢٤٠﴾ والذين يتوفّون منكم ويتركون زوجات لهم، فقد أوصى الله بهنّ أن يقمن في بيت الزّوجيّة عامًا كاملًا مواساة لهنّ وإزالة لوحشتهنّ. ولا يحقّ لأحد أن يخرجهنّ، فإن خرجن بأنفسهنّ في أثناء العام فلا إثم عليكم- أيّها الأولياء- أن تتركوهنّ يتصرفن في أنفسهنّ بما لا ينكره الشّرع الشّريف عليهنّ، وأطيعوا الله في أحكامه واعملوا بما شرع لكم فإنّه قادر على أن ينتقم ممّن يخالف أمره، وهو ذو حكمة بالغة لا يشرّع لكم إلا ما فيه المصلحة وإن غابت حكمتها عن علمكم.

﴿٢٤١﴾ وللنّساء اللّاتي يطلّقن بعد الدّخول بهنّ حقّ في أن يعطين ما يتمتّعن به من المال جبرًا لخاطرهنّ، يدفع إليهنّ بالحسنى على قدر غنى الزّوج وفقره. لأنّ ذلك ممّا توجبه تقوى الله ويلزم به أهل الإيمان.

﴿٢٤٢﴾ بمثل هذه البيانات والتّشريعات الواضحة المحقّقة للمصلحة، يبيّن الله لكم أحكامه ونعمه وآياته لتتدبّروها وتعملوا بما فيها من الخير.

﴿٢٤٣﴾ تنبّه أيّها النّبيّ إلى القصّة العجيبة واعلمها، وهي حالة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الجهاد خشية الموت فيه وهم ألوف كثيرة فقضى الله عليهم بالموت والهوان من أعدائهم، حتّى إذا استبسلت بقيّتهم وقامت بالجهاد أحيا الله جماعتهم به، وإنّ هذه الحياة العزيزة بعد الذلّة المميتة من فضل الله الذي يستوجب الشّكران، ولكنّ أكثر النّاس لا يشكرون.

﴿٢٤٤﴾ وإذا علمتم أنّ الفرار من الموت لا ينجي منه، فجاهدوا وابذلوا أنفسكم لإعلاء كلمة الله، وأيقنوا أنّ الله يسمع ما يقول المتخلّفون وما يقول المجاهدون، ويعلم ما يضمر كُلٌّ في نفسه فيجازي بالخير خيرًا وبالشرّ شرًّا.

﴿٢٤٥﴾ والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى المال فقدّموا أموالكم، فأيّ امرئ لا يبذل أمواله لله طيّبة بها نفسه وقد وعده الله أن يردّها عليه مضاعفة أضعافًا كثيرة؟ والرّزق بيد الله فيضيّق على مَن يشاء ويوسّع لمن يشاء لما فيه مصلحتكم، وإليه مصيركم فيجازيكم على ما بذلتم، ومع أنّ الرّزق من فضل الله وعنايته، وأنّه هو الذي يعطي ويمنع. سمّى المنفق مقرضًا للحثّ على الإنفاق والتّحبيب فيه، وتأكيد الجزاء المضاعف في الدّنيا والآخرة.

الآيتان ٢٣٨- ٢٣٩

الحفاظ على الصّلاة

﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصّلاة الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢٣٨): عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَجِيرِ، أَوْ قَالَ: بِالْهَاجِرَةِ، وَكَانَتْ أَثْقَلَ الصَّلَوَاتِ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَنَزَلَتْ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصّلاة الْوُسْطَى﴾"(١) وهذا يدلّ على أنّ الصّلاة الوسطى هي صلاة الظّهر، وبه قال جماعة.

وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: كَانَ " يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ وَالنَّاسُ فِي قَائِلَتِهِمْ، فَلَا يَكُونُ خَلْفَهُ إِلَّا الصَّفُّ وَالصَّفَّانِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصّلاة الْوُسْطَى﴾"(٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ، قَالَ: "كُنَّا نَتَكَلَّمُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الصّلاة، يُكَلِّمُ الرَّجُلُ مِنَّا صَاحِبَهُ إِلَى جَنْبِهِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾، فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ، وَنُهِينَا عَنِ الكَلَامِ". (٣)

المناسبة: ختمت آيات الأحكام السّابقة في العبادات والمعاملات ومعاملة الزّوجات بالأمر بتقوى الله والتّذكير بعلمه بحال عباده، وما أعدّ لهم من جزاء على العمل، لتقوية الوازع الدّينيّ في النّفوس، كما هي سنّة القرآن.

ثمّ توسّطت آيات المحافظة على الصّلاة آيات أحكام الأسرة لحكمة: وهي الحاجة إلى مذكّر عمليّ يصل الإنسان بالله، للترفّع عن البغي والعدوان، والميل إلى العدل والإحسان في معاملة الأسر، ولا سيّما بعد الطّلاق الذي يولّد الشّحناء والبغضاء، وذلك المذكّر هو الصّلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتدعو إلى الإحسان والتّسامح، وتنفي الجزع وتنسي هموم الدّنيا، فتتربّى النّفس الإنسانيّة على أفضل سلوك، وأقوم طريق، وإشارة إلى أنّه يجب ألا تشغلنا البيوت وأوضاعها، ولا أنفسنا عن الصّلاة.

المعنى العام

يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصّلوات الخمس في أوقاتها، بإتقان شروطها وأركانها، وحفظ حدودها وآدابها، ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ فعن ابن مسعود ﷺ، قال: " سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ﴿الصّلاة عَلَى مِيقَاتِهَا﴾، قُلْتُ: ثمّ أَيٌّ؟ قَالَ: ﴿ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ﴾"(٤).

وخصّ تعالى من بينها بمزيد التّأكيد الصّلاة الوسطى، فقال ﷻ: ﴿والصّلاة الْوُسْطَى﴾ وقد اختلف السّلف والخلف في أيّ صلاة هي؟ فقيل إنّها الصّبح، لفضلها، أو لتوسّطها بين صلاتي اللّيل والنّهار. حكاه مالك، فقد بَلَغَهُ أَنَّ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عبّاس ﷺ كَانَا يَقُولَانِ: ﴿الصّلاة الْوُسْطَى صَلَاةُ الصُّبْحِ﴾ قَالَ مَالِكٌ: «وَقَوْلُ عَلِيٍّ وَابْنِ عبّاس أَحَبُّ مَا

(١) رواه الطحاويّ في شرح معاني الآثار، عن زيد بن ثابت، حديث رقم: ٩٩٣، كتاب: الصّلاة، باب: الصّلاة الوسطى أي الصلوات.
(٢) رواه النّسائيّ في السُّنن الكبرى، عن أسامة بن زيد، حديث رقم: ٣٥٤، كتاب: الصّلاة، باب: تأويل قول الله ﷻ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾.
(٣) رواه التّرمذيّ في سننه، عن زيد بن الأرقم، حديث رقم: ٤٠٥، كتاب: أبواب الصّلاة، باب: في نسخ الكلام في الصّلاة، الحديث حسن صحيح.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٢٧٨٢، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير.

سَمِعْتُ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ»"[١].

وعن أبي رجاء، قال: "صَلَّيْتُ مَعَ ابْنِ عبّاس الصُّبْحَ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: ﴿هَذِهِ الصّلاة الْوُسْطَى﴾"[٢].

وقيل: إنّها صلاة الظّهر، فعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهَا، فَنَزَلَتْ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصّلاةِ الْوُسْطَى﴾[٣] وَقَالَ: ﴿إِنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ، وَبَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ﴾"[٤].

وقيل: إنّها صلاة العصر، وهو قول أكثر علماء الصّحابة ﷺ، وغيرهم. والدّليل على ذلك: ما روي عن عليّ ﷺ، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: ﴿شَغَلُونَا عَنِ الصّلاة الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا﴾، ثمّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ"[٥].

وقيل: إنّ الصّلاة الوسطى هي صلاة المغرب، فعَنِ ابْنِ عبّاس ﷺ، قَالَ: صَلَاةُ الْوُسْطَى الْمَغْرِبُ"[٦]، وما من صلاة إلا وقيل فيها الوسطى. وقيل: أخفيت كساعة الجمعة وليلة القدر.

وقوله ﷻ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه، وقيل مطيعين، إذ القنوت في القرآن كلّه بمعنى الطّاعة، وهذا الأمر يستلزم ترك الكلام في الصّلاة لمنافاته إيّاها، وقد كان الكلام في الصّلاة جائزًا قبل نزول الآية.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ هَذِهِ الصّلاة لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ﴾[٧].

لمّا أمر تعالى عباده بالمحافظة على الصّلوات، والقيام بحدودها، وشدّد الأمر بتأكيدها، ذكر الحال الذي يشتغل الشّخص فيها عن أدائها على الوجه الأكمل، وهي حال الخوف والقتال والتحام الحرب، فقال ﷻ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوّ، أو سبع، أو سيل، ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ فصلّوا قيامًا على أرجلكم بالإيماء للسّجود، أو ركبانًا على خيولكم بالإيماء للرّكوع والسّجود، وصلّوا على أيّ حال كان، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلَاةِ الْخَوْفِ، فَذَكَرَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ بِطُولِهِ، وَقَالَ: ﴿فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، صَلَّوْا رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ، أَوْ رُكْبَانًا مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ وَغَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا﴾[٨].

﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ واطمأنّت قلوبكم ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ فأقيموا صلاتكم كما أمرتم، وأتمّوا ركوعها وسجودها، وقيامها وقعودها، وخشوعها، وصلّوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ مثل ما أنعم الله عليكم وهداكم للإيمان، وعلّمكم ما ينفعكم في الدّنيا والآخرة، فقابلوه بالشّكر والذّكر، ﴿مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قبل ذلك.

(١) رواه مالك في الموطأ، عن مالك، حديث رقم: ٢٨، كتاب: صلاة الجماعة، باب: الصّلاة الوسطى.
(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه، عن أبي رجاء، حديث رقم: ٨٦٢٧، كتاب: الصلوات، باب: قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.
(٤) رواه أبو داود في سننه، عن زيد بن ثابت، حديث رقم: ٤١١، كتاب: الصّلاة، باب: في وقت صلاة العصر، الحديث صحيح.
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن عليّ، حديث رقم: ٦٢٧، كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة، باب: الدليل لمن قال الصّلاة الوسطى هي صلاة العصر.
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٢٣٧٥، كتاب: سورة البقرة، باب: الوجه الثالث: أنّها المغرب.
(٧) رواه مسلم في صحيحه، عن معاوية بن الحكم السلميّ، حديث رقم: ٥٣٧، كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة، باب: تحريم الكلام في الصّلاة، ونسخ ما كان من إباحته.
(٨) رواه ابن خزيمة في صحيحه، عن ابن عمر، حديث رقم: ١٣٦٦، كتاب: الصّلاة، باب: إباحة صلاة الخوف ركبانًا ومشاةً، الحديث إسناده صحيح.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدايات الآيتين:

١. وجوب المحافظة على الصّلوات الخمس، وخاصّة صلاة العصر وصلاة الفجر "**الصّلاة الوسطى**".

٢. من معاني الصّلاة الوسطى، أي أصعب الصّلاة عليك، فالله تعالى يأمرك بالمحافظة على الصّلوات الخمس في أوقاتها، وأن تحرص على الصّلاة في وقتها خاصّة أصعب الصّلوات عليك، وأن تصلّيها بحضور وقنوت.

٣. منع الكلام في الصّلاة لغير إصلاحها.

٤. وجوب الخشوع في الصّلاة.

٥. صلاة الخائف من عدوّ وغيره، له أن يصلّي وهو ماش أو راكب.

٦. الأمر بملازمة ذكر الله في جميع الأحوال، حتّى في وقت الحرب. فالله تعالى وحده هو المعين لك في جميع الأحوال، والشّكر على نعمه وخاصّة نعمة العلم بالإسلام.

في الأمر والنّهي

العمل بالآية:

- احرص أن تصلّي اليوم بحضور، خاصّة أصعب الصّلوات عليك ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصّلاة الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾.
- تأمّل التّائهين والبعيدين عن ربّهم كم أنّ حياتهم ضنكى وصعبة، ثمّ اشكر الله تعالى على نعمة الهداية، ﴿فَاذْكُرُوا اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

من الكبائر: ترك الصّلاة وتأخيرها عن وقتها:

- مَن تَرَكَ صلاةً، أي فاتته الصّلاة ولم يَقضِها، فقد ارتكبَ كبيرةً مِن أكبرِ الكبائر. أمّا مَن فاتته الصّلاة بغيرِ عذرٍ وقضاها، فقد ارتكبَ كبيرةً، لأنّه أخرجَها عن وقتِها، وذلك، بحيث يدخلُ وقت الصّلاة الثّانية، ولم يؤدِّ الصّلاة الأولى في وقتها،، وبذلك فكلّ صلاةٍ يتركُها المسلم ولم يقضِها يعتبر حكمها كبيرةً مِن أَكْبَرِ الكبائر فكيف بِمَن لا يصلّي مُطلقًا؟ قالَ تعالى: ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قالوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلّينَ﴾[1]. (وسقر اسم من أسماء النّار).
- ولا يُعذر بتأخيرِ الصّلاة عن وقتها إلّا لخطأ أو نسيان، أو نوم أو إغماء. ويجب على المسلم تحرّي الأسباب الّتي توقظُه كالمنبّه وما شابه وينوي أنّه يريد أن يصلّيَ الفجر في وقتها- ووقتها ينتهي بشروق الشّمس-، وله في حالة السّفر أن يجمعَ بين صلاتَي الظّهر والعصر، والمغرب والعشاء، تقديمًا أو تأخيرًا، حسب الضّوابط المذكورة في كُتُبِ الفِقه.

(١) سورة المدّثر، الآيتان: ٤٢ – ٤٣.

- وعلى الأبَوَيْنِ تشجيعُ أبنائِهم على الصّلاة بشتّى الطّرق والأساليب وهم أبناء سبع، والتّشديد على ذلك وهم أبناء عشر. فَذَنْبُ مَن لَمْ يَعْمَلْ أقصى جُهْدِهِ حتّى يواظبَ أولادُهُ على الصَّلوات الخمس، وهم أبناء عشر فما فوق، لا يقلُّ مُطلقًا عمَّن أخرج أولاده من المدرسة، وتوقّف عن تعليمِهِم. وعلى الوالدَيْنِ أن يتابعوا أولادَهم ويشجّعوهم على المواظبة على الصَّلوات الخمس، كما يتابعونهم في واجباتهم المدرسيّة. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1].
- وجدير بالذّكر أنّ هناك عقوبةً لِمَن يَنقُرِ الصّلاة، ولا يُتمُّ ركوعَها ولا سجودَها بحيث يصلّي بسرعة فلا تطمئنُّ أعضاؤه في الرُّكوع والسُّجود، وهذا يؤدّي إلى عدم فهم ما يقول، وللحضور في الصّلاة أهمّيّة بالغة.
- ويدخل في الكبائر من عليه قضاء صلوات لأشهر أو سنين وهو لم يباشر بقضائها. بل عليه أن يبدأ بقضاء ما عليه كأن يقضي على الأقل مع كلّ يوم صلاة يوم، ويواظب على ذلك يوميًّا حتّى ينتهي من قضائها.

باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهنّ

قال تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصّلاة الْوُسْطَى﴾[2].

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " سَأَلْتُ النّبيّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: ((الصّلاة عَلَى وَقْتِهَا))"[3].
- وعَن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصّلاة، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[4].
- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصّلاة، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ))[5].

في الأخلاق والآداب

التوجيهات:

- إنّ في ذكر الصّلاة ضمن آيات الطّلاق، دليل على أنّ محافظة الأسرة على الصّلاة من أهمّ أسباب استقرارها وسعادتها، ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصّلاة الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِ قَانِتِينَ﴾.
- حافظ على جميع الصّلوات في وقتها؛ وخصوصًا صلاة العصر وصلاة الفجر، ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصّلاة الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِ قَانِتِينَ﴾.

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٥٢٧، كتاب: مواقيت الصّلاة، باب: فضل الصّلاة لوقتها.
(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عمر، حديث رقم: ٨، كتاب: الإيمان، باب: قول النّبيّ ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلى خَمْس)).
(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عمر، حديث رقم: ٢٥، كتاب: الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

في السّيرة والشّمائل

صلاته ﷺ في الضحى

- روى الإمام مسلم عن عائشة ﵂ قالت: **(كان رسول الله ﷺ يصلّي الضحى أربعًا ويزيد ما شاء الله)**
- وروى التّرمذيّ في الشّمائل عن أنس ﵁ أنّ: **(النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الضُّحَى سِتَّ رَكَعَاتٍ)**.
- وروى مسلم عن أمّ هاني بنت أبي طالب ﵂، أنّ النّبيّ ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكّة فصلّى ثماني ركعات.
قالت: ما رأيته صلّى صلاة قطّ أخفّ منها، غير أنّه كان يتمّ الركوع والسجود.
- وروى مسلم أيضًا عن أبي هريرة ﵁ قال: **(أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: بصيام ثلاثة أيّام من كلّ شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد)** - أي: قبل أن أنام.
- وروى الحاكم عن أمّ سلمة ﵂ قالت: **(كان رسول الله يصلّي الضحى اثنتي عشرة ركعة)**.
- قال العلماء: ولا تنافي بين هذه الروايات، فقد صلّى رسول الله ﷺ الضحى تارة ركعتين وهو أقلّها، وتارة أربعًا وهو الأغلب، وتارة ثمانية، وتارة اثنتي عشرة، وذلك أفضلها وأكثرها.
- وقد أخبر النّبيّ ﷺ عن عظيم أجر المسلم الذي يصلّي صلاة الصبح في جماعة، ثمّ يقعد في مصلّاه، يذكر الله تعالى حتّى تطلع الشمس وترتفع، فيقوم يصلّي صلاة الضحى.
ومن أبي أمامة ﵁، أنّ رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الغَدَاةِ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ جَلَسَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ: انْقَلَبَ بِأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ»** [1].
قال المنذريّ: رواه الطّبرانيّ وإسناده جيّد... **كان ﷺ إذا صلّى الصبح ذكر الله تعالى حتّى تطلع الشمس.**
- عن جابر بن سمرة ﵁ قال: **(كان النّبيّ ﷺ إذا صلّى الفجر تربّع - أي: جلس متربّعًا في مجلسه حتّى تطلع الشمس حسنًا)**. أي: طلوعًا بارزًا ينتشر ضياؤها.
قال في (الترغيب): رواه مسلم وأبو داود والتّرمذيّ والنّسائيّ، والطّبرانيّ ولفظه: **(كان ﷺ إذا صلّى الصبح جلس يذكر الله تعالى حتّى تطلع الشمس)**.
قال ورواه ابن خزيمة في صحيحه ولفظه: قال: عن سمّاك أنّه سأل جابر بن سمرة: كيف كان رسول الله ﷺ يصنع إذا صلّى الصبح؟ فقال: **(كان يقعد في مصلّاه إذا صلّى الصبح حتّى تطلع الشمس)**.

في السّلوك

الإشارة: حافظوا على الصّلوات الحسّيّة قيامًا بوظائف العبوديّة، وعلى الصّلاة القلبيّة قيامًا بشهود عظمة الرّبوبيّة، وهي الصّلاة الوسطى لدوامها في كلّ ساعة، قيل لبعضهم: هل للقلوب صلاة؟ قال: نعم، إذا سجد لا يرفع رأسه أبدًا. أي إذا خضع لهيبة العظمة لم يرفع أبدًا، وفي ذلك يقول الشّاعر:

فاسجُدْ لهيبةِ ذي الجَلالِ ... عِنْدَ التَّدَانِي

وَلْتَقْرَأْ آيَةَ الكَمَالِ ... سَبْعَ مَثَانِي

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ٥٨٦، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني بمجموع طرقه.

وأشار بقوله «آية الكمال» لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليجمع بين الشّريعة والحقيقة، فسجود القلب حقيقة، وسجود الجوارح شريعة، وقوموا لله بآداب العبوديّة قانتين خاشعين، فإن خفتم ألّا تصلّوا إلى ربّكم، قبل انقضاء أجلكم، فسيروا إليه رجالًا أو ركبانًا، خفافًا أو ثقالًا، فإذا أمنتم من القطيعة- وذلك بعد التّمكين- فاذكروا الله شكرًا لأجل ما أطلعكم عليه، وعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون من عظمة الرّبوبيّة، وكمال آداب العبوديّة.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

قال رسول الله ﷺ: «لَتُنقَضَنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً عُروةً، فكلما انتقضَت عُروةٌ تشبَّثَ الناسُ بالتي تليها، فأَوَّلُهُنَّ نقضًا الحكمُ، وآخرهنَّ الصلاةُ، ورُبّ مصلٍّ لا أمانة له»[٢]

أي: كُلَّما اشْتَدَّتْ غُربةُ الإسلامِ، كَثُرَ المخالِفون له، والنَّاقضون لفرائضِه وأوامرِه، وأعانوا عليه أعداءَه.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "لتُنْقَضَنَّ"، أي: تَنْحَلُّ وتَنْفَكُّ عنه، "عُرى الإسلامِ"، (العُرى) جمعُ عُروةٍ، وهي في الأصلِ: ما يُعَلَّقُ به مِن طَرَفِ الدَّلْوِ ونحوِه، فعُبِّر به عن أحكامِ الإسلامِ وأركانِه، "عُروةً عُروةً"، **أي**: تَنحَلُّ مُتتابِعةً واحدةً تِلْوَ الأُخرى؛ "فكلَّما انتقَضَتْ عُروةٌ تَشبَّثَ النَّاسُ"، أي: تَمسَّكوا "بالَّتي تَلِيها"، والمعنى: أنَّ النَّاسَ لا يَترُكون الإسلامَ مرَّةً واحدةً، ولكنْ شيئًا فشيئًا، وذلك بأنْ يُهمِلوا بعضَ أركانِه، ثُم بعضًا آخرَ، حتَّى لا يَبقَى منه شيءٌ؛ "فأَوَّلُهُنَّ نَقضًا الحُكمُ"، أي: تَرْكُ الحُكمِ بشَرعِ اللهِ تعالى، واستبدالُ أحكامٍ وَضْعيَّةٍ مِن حُكمِ الإنسانِ بالأحكامِ الشَّرعيَّةِ الَّتي وضَعَها اللهُ، وقيلَ: المقصودُ بالحُكمِ هو القضاءُ خاصَّةً، "وآخِرُهُنَّ الصَّلاةُ"، أي: آخِرُ شَيءٍ يَترُكُه النَّاسُ من الدِّينِ هي الصَّلاةُ، حتى إنْ أَتَوْا بها أَتَوْا بها على صِفةٍ لا تُقبَلُ.

في الأدعية والأذكار

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[١] ومن فوائد هذا الدّعاء، أنّه يقال لهداية الولد عندما يقول المؤذّن " حيّ على الصّلاة" تذكّر هذا الدّعاء ثمّ تقول "لا حول ولا قوّة إلّا بالله".

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده، عن أبي أُمامة الباهلي، حديث رقم: ٢٢١٦٠، كتاب: مسند الأنصار، باب: حديث أبي أُمامة الباهلي.